حكايات جزائرية

بقرة اليتامى

دوّنها : رابح خدّوسي
عائشة بنّور

رسم : عباس بن يوسف

obeikandl.com

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ العَصْرِ والأَوَانِ كَانَتْ أُسرَةٌ مُتَكَوِّنَةٌ مِنْ أَبٍ وأمٍّ وَطِفْليهِمَا ظَرِيفٌ ومَرجَانَة يُعِيشُونَ جَمِيعًا فِي كُوخٍ، ومَعَهُم بَقَرَتُهُم، الَّتِي كَانُوا مِن حَلِيبِهَا يَنْتَفِعُونَ، كَانَ الطِّفْلاَنِ ظَرِيفٌ وَمرجَانَةُ يَقِفَانِ بِالقُرْبِ مِنْهَا فَتُدَاعِبُهُمَا وَتَلحَسُ بِلِسَانِهَا رَأسَيهِمَا كَأَنَّهُمَا وَلَدَاهَا فَيفْرَحَانِ لِذَلِكَ وَتَزْدَادُ سَعَادَتُهُمَا، تَمُرُّ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي وَالطِفلاَنِ يَكبُرَانِ وَتَكبُرُ صِلَتُهُمَا بِالبَقَرَةِ، فَلاَ يَمُرُّ يَوْمٌ مِن غَيرِ أَنْ يَقِفَا أَمَامَهَا وَيُقَدِّمَا لَهَا العَلَفَ وَالحَشِيشَ، لَكِنَّ الأَيَّامَ كَانَتْ تُخبِئُ لَهُمَا أُمُورًا لاَ تَسُرُّ، وَالقَدَرُ يُخْفِي لِلعَائِلَةِ الصَّغِيرَةِ الهَادِئَةِ أَحْدَاثًا سَتُغَيِّرُ حَيَاةَ الطِّفْلَيْنِ.

فَجْأَةً تَمْرَضُ الأُمُّ وَتَضْعُفُ قُوَاهَا فَتُصْبِحُ طَرِيحَةَ الفِرَاشِ، تُمَزِّقُهَا سَكَاكِينُ الوَجَعِ، تَزِيدُهَا حُرْقَةً دُمُوعُ طِفْلَيْهَا وَحَسْرَةُ زَوْجِهَا، كَانَت الفَتَاةُ مَرْجَانَةُ تَسْهَرُ جَانِبَ وَالِدَتِهَا، تُخَفِّفُ حَرَارَةَ جِسْمِهَا،

وَاضِعَةً قِطْعَةَ قُمَاشٍ مُبَلَّلَةً بِالمَاءِ البَارِدِ عَلَى جَبِينِهَا... وَمَا عَسَى «ظَرِيف» أَنْ يَفْعَلَ سِوَى ذَرْفِ دُمُوعٍ حَارِقَةٍ شَفَقَةً عَلَى أُمِّهِ.

تَحْضُنُ الأُمُّ طِفْلَيهَا ثم تُمْسِكُ بِيَدِ زَوْجِهَا قَائِلَةً:

- أُوصِيكَ بِظَرِيفٍ وَمَرْجَانَة... وَبِالبَقَرَة، لاَ تَبِعْهَا ، رَجَاءً...

تَزْدَادُ الحُمَّى وَيَشْتَدُّ مَرَضُهَا،، وَيَحِينُ الأَجَلُ، فَتَرحَلُ الأُمّ مِن هَذِهِ الدُّنيَا تَارِكَةً وَرَاءهَا طِفْلَين لِلوحْدَةِ وَالاغْتِرَابِ...

الحُزنُ دَخَلَ البَيْتَ دُونَ اسْتِئْذَانٍ، شَقَاءٌ وَآلاَمٌ مُرَّةٌ مَرَارَةَ العَلْقَمِ وَدُمُوعٌ تَفِيضُ مِنْ عُيُونِهِمْ تَجْرِي كَالوِدْيَانِ...

أَصبَحَ الكُوخُ حَزِينًا مُكْفَهِرًّا، الظَّلاَمُ الدَّامِسُ يَسْكُنُهُ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ كَمَا سَكَنَ أَفْئِدَةَ العَائِلَةِ الجَرِيحَةِ،، صَارَ الطِّفْلاَنِ كَالعُصْفُورَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ يَبْحَثَانِ عَن أُمِّهِمَا فِي قَلْبِ أَبِيهِمَا، الحِدَادُ الأَسْوَدُ يُخَيِّمُ عَلَى الجَمِيعِ، حَتَّى البَقَرةُ أَحَسَّت بِفُقْدَانِ صَاحِبَتِهَا فَنَدَرَ الحَلِيبُ فِي ضِرْعِهَا..

❋ ❋ ❋

بَعْدَ مُدَّةٍ فَكَّرَ الأَبُ فِي الزَّوَاجِ بِامْرَأَةٍ أُخْرَى غَيرَ أَنَّهُ تَرَدَّدَ لأَنَّ زَوْجَتَهُ الأُولَى لاَزَالَت تَحْتَلُّ قَلْبَهُ وذَاكِرَتَه، لَكِنَّ حِرصَهُ عَلَى وَلَدَيْهِ وَرِعَايَتِهِمَا وَتَدبِيرِ شُؤونِ البَيْتِ جَعَلَهُ يُفَكِّرُ فِي الأَمْرِ مَرَّةً ثَانِيةً.

وَتَزَوَّجَ الشَّيخُ مِن امْرَأَةٍ ظَنَّ الخَيْرَ فِي نَاصِيتِهَا... أَنْجَبَ مِنهَا بِنْتًا سَمَّاهَا «عَسْلُوجَة» وَمَعَ مُرُور الأَيَّام بَدَأَ يَنْبُتُ الغَضَبُ والصِّرَاعُ فِي البَيتِ، كَانَ الطِّفْلاَنِ «ظَرِيفٌ وَمرجَانَة» يَقْضِيانِ وَقْتَيْهِمَا فِي النَّهَارِ مُهمَلَيْنِ جَائِعَيْنِ، وَعِنْدَ المَبِيتِ يَفْتَرِشَانِ الثَّرَى أَو التِّبْنَ قُرْبَ بَقَرتِهِمَا، يَسْتَمِدَّانِ العَطْفَ وَالحَنَانَ مِن نَظَرَاتِهَا كَمَا يَسْتَمِدَّانِ الغِذَاءَ مِن حَلِيبِهَا الدَّسِمِ، فَنَمَا جِسْمَاهُمَا وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُهُمَا صِحَّةً وَعَافِيةً.

احْتَارَت زَوْجَةُ الأَبِ فِي أَمْرِ «ظَرِيف وَمرْجَانَة» ...رُغْمَ إِهْمَالِهَا لَهُمَا يَزْدَادَانِ نُمُوًّا وَجَمَالاً، وَفِي المُقَابِل يَعْتَرِي عَسْلُوجَة شُحُوبٌ وَهُزَالٌ رَغْمَ عِنَايَتِهَا الفَائِقَةِ بِهَا غِذَاءً وَلِبَاسًا وعَطفًا.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ أَوْصَت اِبْنَتَهَا «عَسْلوجَة» قَائِلَةً:

- رَافِقِيهِمَا إِلَى المَرْعَى وَارْصُدِي حَرَكَاتِهِمَا لِتُخْبِرِينِي مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ يَسْتَرزِقَانِ؟ مِنْ أَيْنَ يَأْكُلاَنِ؟

لَمْ تَكُنْ «عَسْلُوجَة» أَقَلَّ مِنْ أُمِّهَا حِقْدًا وَغيْرَةً نَحْوَ أَخَوَيْهَا «ظَرِيف وَمرْجَانَة» مِمَّا جَعَلَ نَارَ الحَسَدِ تَشْتَعِلُ فِي قَلْبِهَا الصَّغِيرِ فَيَصْعَدُ دُخَانُ اللَّهَبِ إِلَى وَجْهِهَا لِيَجْعَلَهُ أَسْوَد.

اسْتَجَابَت «عسْلُوجَة» لِطَلَبِ أُمِّهَا وَرَاحَت تَرْقُبُ الطِّفْلَيْنِ عَنْ بُعْدٍ...!!

كَانَت دَهْشَتُهَا كَبِيرَةً وَهِي تَرَى البَقَرَة فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ تَقْتَرِبُ مِنْهُمَا فَيُمْسِكَانِ بِضِرْعِهَا لِيَنْهَلاَ مِنْهُ الحَلِيبَ، يَرْضَعَانِ مِثْلَ الصَّبِيينِ التَّوْأَمَيْنِ، كَأَنَّهُمَا يَمْتَصَّانِ ثَدْي أُمِّهِمَا، يَا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَجِيبٍ ! يَا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ غَرِيبٍ !

حَاوَلَت «عَسْلُوجَة» تَقْلِيدَهُمَا، تَقَدَّمَت نَحْوَ البَقَرَةِ وَقَبْلَ أَنْ تَضَعَ فَمَهَا قُرْبَ الضِّرْعِ رَفَسَتْهَا البَقَرَةُ بِحَافِرِهَا فَأَصَابَت عَيْنَهَا اليُمْنَى.. وَعَادَت إِلَى أُمِّهَا مُغْمَضَةَ العَيْنِ بَاكِيَةَ الأُخْرَى، اغْتَاظَت الزَّوْجَةُ لَمّا عَرَفَت السَبب وَاشْتَدَّ غَضَبُهَا فَعَاقَبَت الطِّفْلَيْنِ «ظريف وَمرْجَانَة» وَقَرَّرَت التَّخَلُّصَ مِن البَقَرَةِ (أُمّ اليَتَامَى).

وَفِي المَسَاء قَالَت لَهُ:

- أَيُّهَا الرجُل نَحْنُ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلى البَقَرَةِ.

رَدَّ عَلَيْهَا فِي دَهْشَةٍ وَغَضَبٍ:

- مَاذَا تَقُولِين أَيَّتُهَا الحَمْقَاءُ؟ أَجُنِنْتِ؟ أَنَسِيتِ حَلِيبَهَا وَلَبَنَهَا وَسَمنَهَا؟!!

قَالَت وَهِي تُلِحُّ فِي جُرأَةٍ وَقِحَةٍ:

- بِعْهَا وَاشتَرِ لَنَا حِمَارًا نَرْكَبُهُ فَيُرِيحُنَا، إِنِّي كَرِهْتُهَا، بَقَرَةٌ مُتْعِبَةٌ، لاَ أُرِيدُ رُؤْيَتَهَا بَعْدَ اليَوْم.. وَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا مُتَخَاصِمَيْنِ.

وَمَعَ إِصْرَارِ الزَّوْجَةِ عَلَى رَأْيِهَا ضَعُفَ مَوقِفُ الشَّيْخِ فانْصَاعَ لِرَغْبَةِ زَوجَتِهِ...

مَعَ مَطْلَعِ الفَجْرِ لَبِسَ الزَّوْجُ عَبَاءَتَهُ البَيْضَاءَ وَرَمَى بُرنُوسَهُ البُنِّيَّ الطَّوِيلَ عَلَى كَتِفَيْهِ وَاتَّجَهَ نَحْوَ الاسْطَبْلِ مَاسِكًا الحَبْلَ بِيَدَيْهِ المُرْتَعِشَتَيْنِ لِيَضَعَهُ حَوْلَ قَرْنَيْ بَقَرَةِ اليَتَامَى...

كَانَت البَقَرَةُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى السُّوقِ الأُسْبُوعِي تَبْكِي بِلاَ دُمُوعٍ وَكَأَنَّهَا عَرَفَت مَصِيرَهَا، بَلْ إِنَّهَا كَانَت تَبْدُو حَزِينَةً لِفِرَاقِ الطِّفْلَيْنِ.

أَقْبَلَ الصُّبْحُ حَزِينًا وَذَهَبَ الطِّفْلانِ «ظَرِيف وَمرجَانَة» إِلى مَكَانِهَا كَالعَادَةِ لِشُرْبِ حَلِيبِ الصَّبَاحِ فَوَجَدَا المَكَانَ خَالِيا.. لَمْ يَجِدَا الكَنْزَ الَّذِي تَرَكَتْهُ لَهُمَا أُمُّهُمَا فَشَعَرَا بِمَوْتِ أُمِّهِمَا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَبَكَيَا كَثِيرًا لَمّا عَلِمَا بِالحَقِيقَةِ...

كَانَ الشَّيخُ فِي طَرِيقِهِ يُرَدِّدُ فِي نَفْسِهِ كَلِمَاتٍ يَقْصِدُ بِهَا زَوْجَتَهُ:

- هِي تَقُول وَأَنَا أَقُول... هِي تَقُول وَأَنَا أَقُول حَتَّى غَلَبَتْنِي بِالقَوْل .. لَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إِلاَّ الحَمَاقَةُ أَعْيَت مَنْ يُدَاوِيهَا، يَا لَيْتَنِي تَزَوَّجْتُ بِالضَّاوِيَة بِنْتُ المَدَّاحِ المَرْأَة الكَرِيمَةُ العَطُوفَةُ.

فِي السُّوقِ الأُسْبُوعِي حَيْثُ يَجتَمِعُ التُّجَّارُ بالفَلاَّحِينَ وَيَلْتَقِي الغَنِيُّ بِالفَقِيرِ وَالفَلاَّحُ بِالأَمِيرِ وَالحَلِيمُ بِالغَرِيرِ، كَانَ النَّاسُ يَحْمِلُونَ السِّلَلَ الحَافِلَةَ بِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ الخُضَرِ وَالفَوَاكِهِ الشَّهِيَّةِ التِي مَنَّت بِهَا عَلَيهِم الأَرْضُ...

كَمَا عُرِضَت فِي السُّوقِ أَوَانٍ طِينِيَّةٍ أَبْدَعَتْهَا أَنَامِلُ النِّسَاءِ القَرَوِيَّاتِ فِي أَشْكَالٍ مَنْقُوشَةٍ وَمَظَاهِر مَنْحُوتَةٍ وَصُوَرٍ مُزَرْكَشَةٍ قَشِيبَةٍ أَخَذَت مِنْ أُمِّنَا الأَرْض زُخْرُفَهَا.

وَفِي بَابِ السُّوقِ بَدَأ يُنَادِي:

- مَنْ يَشْتَرِي بَقَرَةَ الأيتَام؟ مَنْ يَشْتَرِي بَقَرَةَ الأيتَام؟

لَمْ يُقْبِل عَلَيهِ أَحَدٌ، كَانُوا يَخْشَونَ الاقتِرَابَ مِن مَالِ اليَتِيم...لَكِنَّ أَحَدَ الجَزَّارِينَ تَقَدَّمَ مِنهُ وَاشْتَرَى البَقَرَةَ، وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا يَدْعُو اللُّطفَ وَالرَّحمَةَ لِصَغِيرَيهِ اللَّذَينِ وَجَدَهُمَا مَكَانَ البَقَرَةِ فِي حِدَادٍ، يَنْظُرَان نَحْوَهُ نَظَرَاتٍ غَرِيبَةٍ مَمْزُوجَةٍ بِالعِتَابِ وَالاستِفهَامِ...

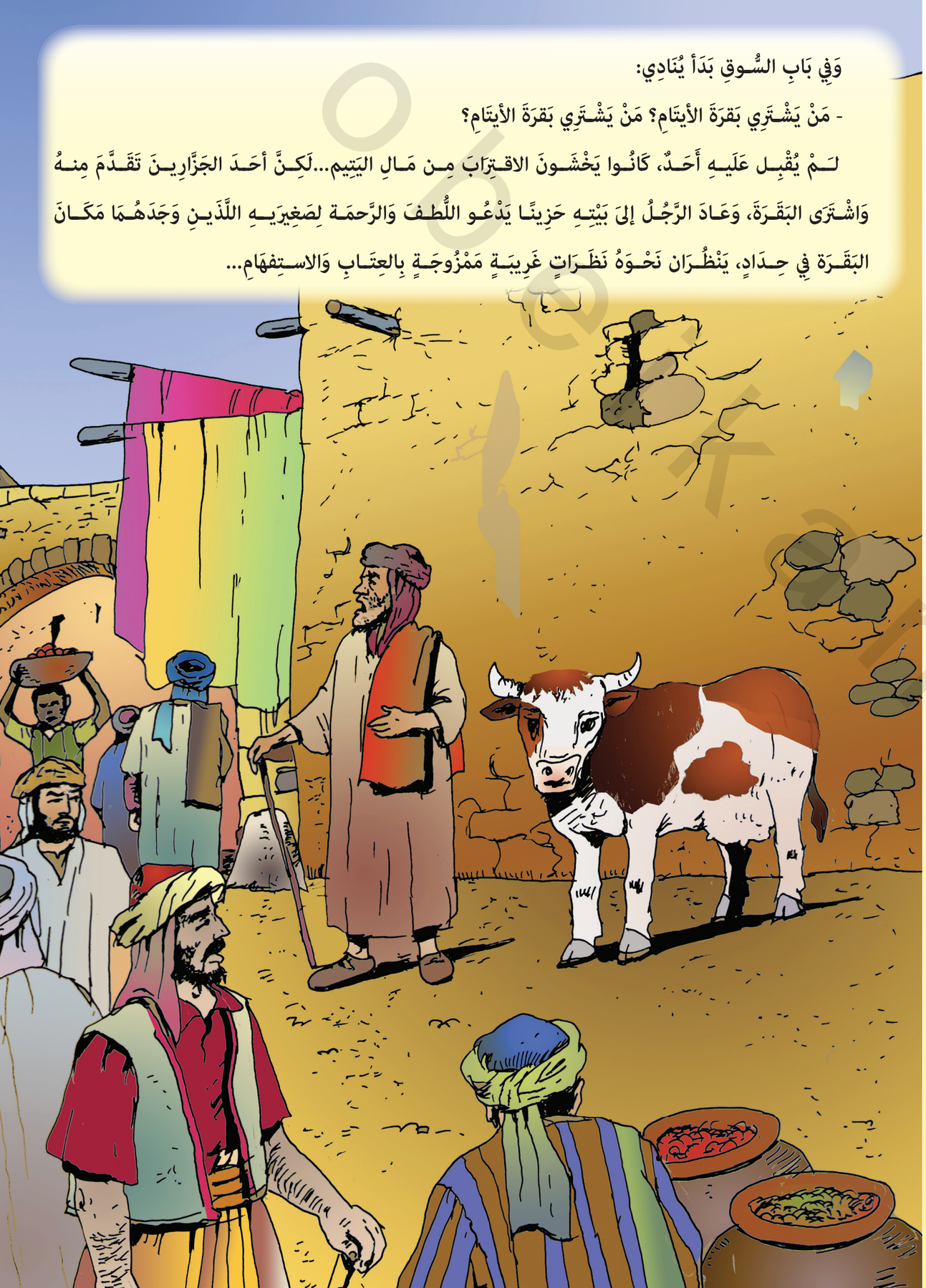

وَفِي الـمَسَاءِ استَلقَى الشَّيخُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَبَعْدَ أَرَقٍ وَسُهَادٍ استَسْلَمَ لِلنَّومِ، فَرَأَى فِي الحُلُمِ زَوجَتَهُ الأُولَى، أُمُّ الطِّفْلَينِ تَزُورُهُ دَامِعَةَ العَينَينِ وَهِيَ تَقُولُ لَهُ:

- لَقَد ضَيَّعتَ «الأَمَانَةَ»، ثُمَّ تَطلُبُ مِنْهُ الذَّهَابَ إلى الجَزَّارِ لاسترْجَاعِ ضِرْعِ البَقَرَةِ وَوَضْعِه عَلَى قَبْرِهَا.

قَامَ الشَّيخُ مِنْ نَومِهِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ مَفْزُوعًا وَلَبِسَ عَبَاءَتَهُ، ثُمَّ غَادَرَ بَيْتَهُ صَامِتًا، وَفِي سُرعَةٍ عَجِيبَةٍ هَرْوَلَ نَحْوَ دَارِ الجَزَّارِ، وَأَكمَلَ الهَزِيعَ الأَخِيرَ مِنَ اللَّيْلِ أَمَامَ البَابِ يَنتَظِرُ خُرُوجَهُ.

استَيقَظَ الجَزَّارُ عَلَى نُبَاحِ الكَلْبِ فَوَجَدَ الشَّيخَ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ البَيْتِ يَرتَعِدُ مِن البَرْدِ، استَغْرَبَ لِحَالِهِ وَاستَفْسَرَهُ عَنْ رَغْبَتِهِ، تَعَلَّقَ الشَّيخُ بِمَلاَبِسِ الجَزَّارِ يُقَبِّلُ يَدَيهِ مُلتَمِسًا مِنْهُ إعطَاءَهُ ضِرْعَ البَقَرَةِ، كَانَ الطَّلَبُ غَرِيبًا لَكِنَّ قَلْبَ الجَزَّارِ رَغْمَ قَسْوَتِهِ رَقَّ لِحَالِ الشَّيخِ وَاستَجَابَ لِرَغْبَتِهِ وَقَدَّمَ لَهُ مَا أَرَادَ...

حَمَلَ الشَّيخُ ضِرْعَ البَقَرَةِ بِيَدَيهِ وَالحَلِيبُ يَتقاطرُ مِنْهُ مَمْزُوجًا بِالدَّمِ، وَوَضَعَهُ دَاخِلَ قلمُونَة برنُوسِهِ، وَسَارَ فِي اتِّجَاهِ المَقبَرَةِ التِي تَنَامُ فِيهَا زَوجَتُهُ الأُولَى، عِندَمَا وَصَلَ إلَى قَبْرِهَا حَيَّاهَا فِي أَسَفٍ وَحَسْرَةٍ، ثُمَ وَضَعَ الضِّرْعَ عَلَى قَبْرِهَا وانْصَرَفَ إلَى بَيْتِهِ.

يَشْتَدُّ الزَّمَنُ عَلَى الطِّفلَينِ بِمَرَارَتِهِ المُتَوَالِيةِ مَعَ الأَيَّامِ، لَقَدْ حَزِنَا حُزْنًا عَمِيقًا لِغِيَابِ بَقَرَتِهِمَا... الجُوعُ يُضْنِيهِمَا وَزَوجَةُ أَبِيهِمَا تَرْفُضُ الاسْتِجَابَةَ لِتَوسُّلاَتِهِمَا المُنْبَعِثَةِ مِنْ مَعِدَتَيهِمَا الخَاوِيَتَينِ، شَحبَ لَونُ وَجهَيهِمَا وَهَزُلَ جِسمَاهُمَا حَتَى تَغَيَّرَت مَلامِحُهُمَا...

وَفِي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ اشْتَدَّ شَوْقُهُمَا لِرُؤيَةِ أُمِّهِمَا فَذَهَبَا خِفيَةً إلَى مَقبَرَةِ القَريَةِ يَزُورَانِ قَبرَهَا وَيَشكُوَانِ لَهَا حَالَهُمَا، وَصَلاَ القَبرَ جَائِعَين يَلهَثَانِ مِن العَطَشِ،،،

فَانْدَهَشَا... قَصَبَتَانِ صَغِيرَتَانِ نَبَتَتَا عَلَى قَبْرِ أُمِّهِمَا، وَاحِدَةٌ تَسِيلُ حَلِيبًا وَأُخْرَى عَسَلاً، وَبِالقُرْبِ مِنْهُما نَخلَتَانِ بَاسِقَتَانِ كَثِيرَتَا العَرَاجِينِ التَّمْرِيَّةِ.

احتَضَنَ الطِّفلاَنِ قَبرَ أُمِّهِمَا فَرِحَيْنِ مَسْرُورَيْنِ بِلِقَائِهَا وَكَأَنَّهُمَا يَسمَعَانِ صَوتَهَا يَنْبَعِثُ مِنْ تَحتِ التُّرَابِ، وتَذَكَّرَا حُضْنَهَا الدَّافِئَ الحَنُونَ فَبَكَيَا حَتَّى تَبَلَّلَ تُرَابُ قَبْرِهَا.

شَرِبَا الحَلِيبَ والعَسَلَ مِن القَصَبَتينِ وَأَكَلاَ التَّمرَ مِن النَّخْلَتَينِ حَتَّى شَبِعَا وَارتَوَيَا، ثُمَّ تَحَوَّلاَ بِنَظَرَاتِهِمَا يَتَطَلَّعَانِ إلَى السَّمَاءِ وَإلَى النَّخلَتَينِ فِي صُورَتِهِمَا الشَّبِيهَتَينِ بِقَرْنَيْ البَقَرَةِ، وظَلَّ الطِّفلاَنِ اليَتِيمَانِ يُنَاجِيَانِ أُمَّهُمَا فِي مَظهَرٍ إنْسَانِيٍّ لاَمَثِيلَ لَهُ.

قَدِمَ الطِّفْلاَنِ إلَى المَكَانِ مَرَّةً ثَانِيةً وَثَالِثَةً، يَرتَادَانِهِ وَقْتَ الحَاجَةِ حَتَى عَادَت النَضَارَةُ إلَى وَجهَيْهِمَا وَالسِّحرُ إلَى مُحَيَّيْهِمَا وَالعَافِيةُ إلَى جِسْمَيهِمَا، فَعَاوَدَ زَوجَةَ أَبِيهِمَا الحَسَدُ وَالضَّغِينَةُ، وَطَلَبَت مِنْ ابْنَتِهَا «عَسْلوجَة» إعَادَةَ الكَرَّةَ مَرَّةً ثَانِيَةً.

كَانَ الوَقْتُ أَصِيلاً عِنْدَمَا وَصَلا ظَرِيفٌ وَمرجَانَةُ إلى قَبرِ أُمِّهِمَا وَشَرعَا فِي هَزِّ جِذعَي النَّخْلَتَينِ فَتَسَاقَطَ الحَبُّ رَطَبًا شَهِيًّا، ثُمَّ شَرِبَا الحَلِيبَ مِن القَصَبَتَينِ... وَانكَشَفَ السِّرُّ لعَسْلوجَة التِي كَانَت وَارَءَهُمَا فتَقَدَّمَت مِن القَصَبَة وَتَجَرَّعَت قَلِيلاً مِن الحَلِيب وَأَبْقَتْ جُرعَةً فِي فَمِهَا، كَمَا وَضَعَت تَحْتَ شَفَتِهَا السُّفلَى شَقَّ تَمْرَةٍ ثُمَ اتَّجَهَتْ نَحْوَ البَيْتِ مُسرِعَةً لِتَجِدَ أُمَّهَا فِي انْتِظَارِ الأَخبَارِ.

بَاتَت زَوْجَةُ الأَبِ تُفَكِّرُ فِي أَمْرِ القَصَبَتَينِ وَالنَّخْلَتَينِ، أَرْهَقَهَا التَّفْكِيرُ وَلَمْ تَجِد لِلمَوضُوعِ حِيلَةً، ومَعَ الصَّبَاحِ سَمِعَت الدَّلاَّل يُنَادِي لِبَيعِ مَا لَدَيهِ مِن كِسْوَةٍ وَعَقَاقِيرٍ، هَرَعَت إلَى بَابِ الكُوخِ تَسْأَلُهُ:

- مَا فِي حَوزَتِكَ لقَطعِ النَّخلَةِ والقصبِ؟

أَجَابَ وَالعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِن جَبِينِهِ:

- القَطرَانُ فِي عُرُوقِ النَّخْلِ والقصب، يُمِيتُ الجُذُورَ فَتُصبِح سِوَاكًا وَبُخُورًا .

أَطْرَبَهَا جَوَابُ الدَّلاَّل فَاشْتَرَت مِنْهُ مَا يَكفِيهَا لِلفَتْكِ بِالنَّخْلَتَينِ، وَاتَّجَهَت صَوْبَ المَقْبَرَةِ لاَهِثَةً، تَحْمِلُ القَطْرَانَ فِي يَدِهَا وَالمَكْرِ فِي قَلْبِهَا، وَمَا إنْ وَصَلَت مَوضِع القَصَبَتَيْنِ والنَّخْلَتَينِ حَتَّى بَحَثَتْ عَنْ جُذُورِهِمَا وَدَسَّت فِيهِمَا القَطْرَانَ، بَعْدَ عَوْدَتِهَا إلَى البَيْتِ مَكَثَت صَامِتَةً صَمْتَ المُذْنِبِينَ، لاَ يَرَى الرَّائِي فِي عَيْنَيْهَا الغَائِرَتَينِ غَيْرَ عَلاَمَاتِ المَكْرِ وَالدَّهَاءِ.

أَقْبَلَ الشَّيخُ مِنْ عَمَلِهِ مُتْعَبًا وَقَدْ ضَعُفَ بَصَرُهُ وَابيَضَّ شَعْرُهُ، وَاحدَوْدَبَ ظَهْرُهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَستَرِيحَ وَقَفَت فِي وَجْهِهِ صَارِخَةً مُتَصَنِّعَةً الغَضَبَ:

- هَيَّا أَبْعِدهُمَا عَنِّي، لَقَدْ كَرِهْتُهُمَا...

يَتَسَاءلُ العَجُوزُ فِي حيرَةٍ:

- مَنْ تَقصِدِين؟

قَالَـت:

- ظَريف ومَرْجَانَة، اللَّذَانِ تَسَبَّبَا فِي تَعْوِيرِ عَيْنِ ابْنَتِي «عَسلُوجَة».

مَـعَ الصَّبَـاحِ البَاكِـرِ يُجَهِّـزُ الشَّـيخُ ابْنَـهُ ظَرِيفـا وَابْنَتَـهُ مرجَانَـة لِلرَّحِيـلِ، قَصَـدُوا الغَابَـةَ تُرَافِقُهُـم الدُّمُـوعُ، وَفِي نِهَايَـةِ الـدَّربِ الزِّرَاعِـي الـمُلتَوِي قُـربَ سَـفْحِ الجَبَـلِ وَدَّعَهُـمَا الشَّـيخُ بِشَـهَقَاتٍ حَزِينَـةٍ وَهُـوَ يَضَـعُ فِي أَيْدِيهِـمَا قِطَعًـا مِـنَ الخُبْـزِ وَكِيسًـا مَمْلُـوءً بِأَلبِسَـتِهِمَا وَفِرَاشِـهِمَا... وَعَـادَ إِلَى البَيْـتِ كَئِيبًـا، عَـادَ وَحْـدَهُ يَبْـكِي حُرقَـةَ الـوَدَاعِ الأَبَـدِي...

وَيسِـيرُ الطِّفْـلاَنِ قَاطِعَـيْنِ الوِهَـادَ وَالجِبَـالَ وَالأَدْغَـالَ، هَائِـمَيْنِ عَـلَى وَجْهَيْهِـمَا لاَ يَعْرِفَـانِ لِرِحْلَتِهِـمَا اتِّجَاهًـا أَوْ نِهَايَـةً... أَخَـذَ التَّعَـبُ مَوْضِعَـهُ مِنْهُـمَا فَجَـفَّ رِيقُهُـمَا عَطَشًـا وَالْتَـوتْ أَمْعَاؤُهُـمَا جُوعًـا وَكَـادَا يَـمُوتَانِ عَيَـاءً وَظَـمَأً لَـوْلاَ إِشرَافُهُـمَا عَـلَى نَهْـرٍ جَـارٍ بَـدَا لَهُـمَا مـن بَعِيـدٍ كالسَّـرَابِ.. وَعِندَمَـا وَصَـلاَ النَّهْـرَ لاَحَظَـت

مرجَانَـة سَـائِلاً سِـحْرِيًّا يَخْتَلِـطُ بِالـمَاءِ، فَتَذَكَّـرت قِصَّـةَ الـوَادِي السِّـحْرِي الـذِي يَغْسِـلُ الأَبْـدَان مِـنَ الدَّنَـسِ وَيُحَـوِّلُ شَـارِبِي مَائِـهِ إِلَى غِـزْلاَنٍ !!

أَسْرَعَ أَخُوهَـا ظَرِيـف نَحْـوَ النَّهْـرِ وَانْكَـبَّ عَـلَى صَفْحَـةِ الـمَاءِ يُرِيـدُ إِطْفَـاءَ نَـارِ العَطَـشِ الـمُلْتَهِبَةِ فِي حَلْقِـهِ لَكِـنَّ أُخْتَـهُ مَنَعَتْـهُ مِـن الـشُّربِ وَبِصُعُوبَـةٍ أَبْعَدَتْـهُ عـن الـمَـاءِ وَوَاصَلاَ طَرِيقَهُـمَا..

فجْـأَةً تَوقَـفَ الطِّفْـلُ ظَرِيـف عَـنِ الـمَشِي وَأَخْـبَرَ أُخْتَـهُ بِضَيَـاعِ قِلاَدَتِـهِ عِنْـدَ الـوَادِي، قِـلاَدَة الذِكْـرَى وَالتِـذْكَار، الـمُهْدَاة لَـهُ مِـنْ أُمِّـهِ العَزِيـزَة، فسَـمَحَت لَـهُ شَـقِيقَتُهُ بِالعَـوْدَةِ لِلْبَحْـثِ عَـنْ قِلاَدَتِـهِ وَأَوْصَتْـهُ بِالامتِنَـاعِ عَـنِ الـشُّرْبِ، رَجَـعَ الطِّفْـلُ إِلَى النَّهْـرِ لِلْبَحْـثِ عَـنْ ضَالَّتِـهِ، لَكِـنَّ انسِـيَابَ الـمَاءِ بَـيْنَ الحَصَـى زُلاَلاً صَافِيًـا أَفْقَـدَهُ الصَّـبْرَ، فَلَـمْ يَتَمَالَـك نَفْسَـهُ وَانْهَـالَ عَـلَى الـمَاءِ يَعُبُّـهُ عَبًّـا، وَفِي لَحْظَـةٍ، حَـدَثَ العَجَـبُ..!! تَحَـوَّلَ الطِّفْـلُ ظَرِيـف إِلَى مَخْلُـوقٍ آخَـر يُشْـبِهُ الغَـزالَ..!! فَانْدَهَشَـت مَرْجَانَـةُ لِذَلـك وَبَقِيـت حَائِـرَةً.

جَلَسَـتْ تَحْـتَ شَـجَرَة تُـمَشِّطُ شَـعْرَهَا وَالطِّفْـلُ الغَـزَالُ أَمَامَـهَا يَرْتَشِـفُ جُرُعَـاتٍ أُخرى مِـن الـمَاءِ لاَيَـدْرِي وَلاَ يُـدْرِكُ حَالَـهُ..

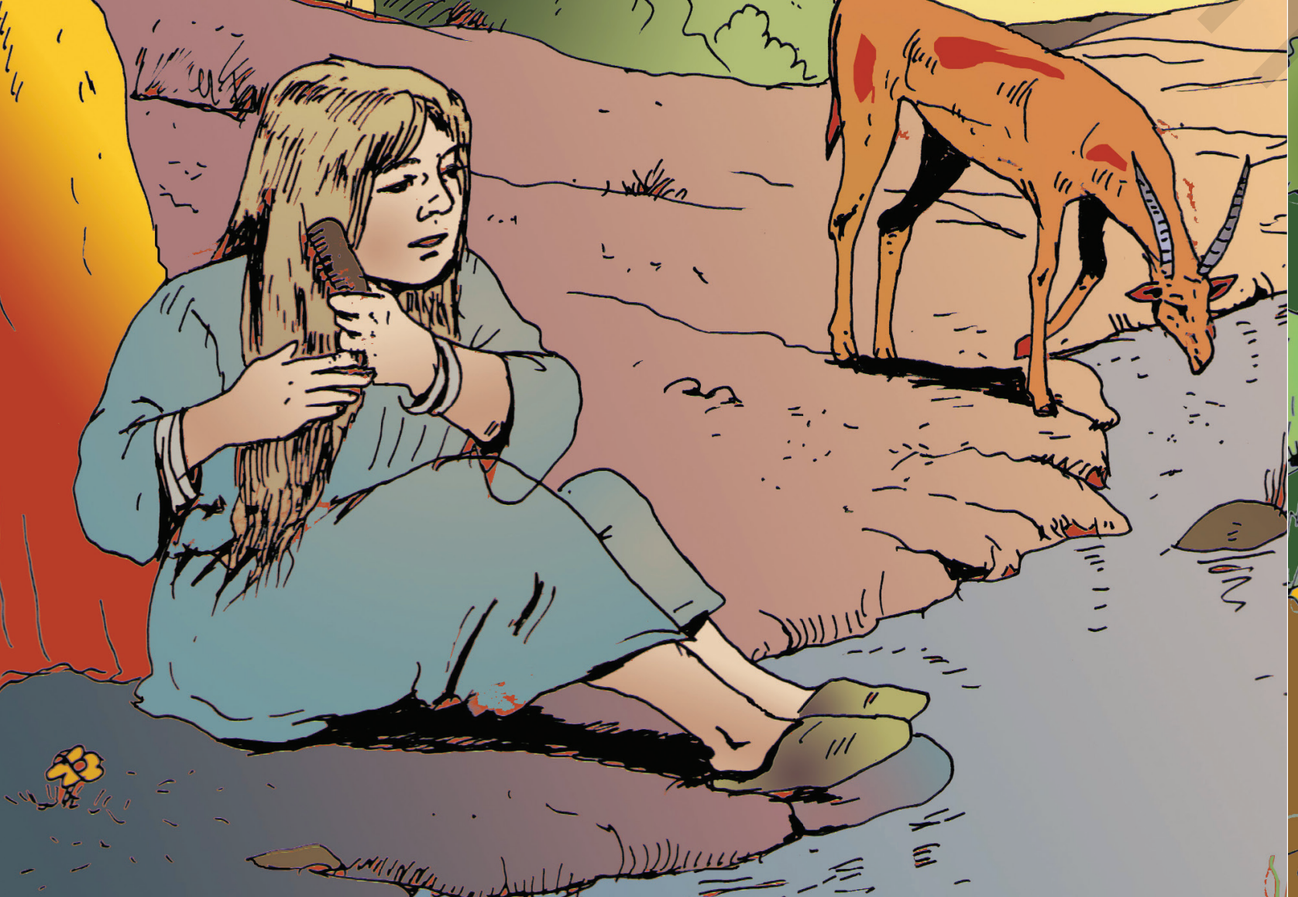

انْسَلَّت مِنْ شَعْرِهَا الذَّهَبِي شَعْرَةٌ وَاحِدَةً، كَانَت طَوِيلَةً فِي امتِدَادِ سَالِفِهَا الطَّوِيلِ، سَقَطَت الشَّعْرَةُ فِي مَجْرَى النَّهْرِ فَجَرَفَهَا التَّيَّارُ وَسَرى يَتَلاَعَبُ بِهَا مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ، حَتَّى توقَّفَت فَجْأَةً بَيْنَ أَنَامِلِ يَدٍ بَشَرِيَّةٍ ،، إِنَّهَا يَدُ سُلْطَانِ البِلاَدِ...

مُنْذُ حِين كَانَ السُّلطَانُ يَتَجَوَّلُ فِي رِحلَةِ صَيْدٍ، يَصْحَبُهُ الجُنْدُ وَسَطَ الأَدْغَالِ وَالأَحْرَاشِ، وَعِنْدَ الظَّهِيرَةِ أَرَادَ الاسْتِحْمَامَ بِمَاءِ النَّهْرِ الدَّافِئِ استِعدَادًا لِتَنَاوُلِ وَجْبَةِ الغَداءِ، جَلَسَ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ وَوَضَعَ يَدَهُ فِي المَاءِ يُعَاكِسُ التَّيَّارَ الجَارِي مُسْتَلَذًّا بِانْسِيابِ المَاءِ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَسَرَيَانِ النَّسِيمِ العَلِيلِ بَيْنَ السَّنَابِلِ، عِنْدَمَا حَمَلَ السُّلْطَانُ الشَّعْرَةَ فِي كَفِّهِ كَانَت أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَنْعَكِسُ عَلَيهَا فَتَمَاوَجَت أَلْوَانُهَا فِي مَنْظَرٍ سِحْرِيٍّ بَدِيعٍ، تَفَحَّصَ الشَّعْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ كَثِيرًا وَبِفَرَاسَةِ الأَذْكِيَاءِ عَرَفَ أَنَّ الشَّعْرَةَ لِفَتَاةٍ رَائِعَةِ الحُسْنِ، وَقَفَ المَلِكُ صَامِتًا ثُمَ اعْتَلَى جَوَادَهُ فَاجْتَمَعَت حَاشِيَتُهُ قُرْبَهُ تَنْتَظِرُ الأَوَامِرَ، قَدَّمَ لَهُم الشَّعْرَةَ قَائِلاً:

- جَاءت مَعَ المَاءِ،، أُرِيدُ رُؤيَةَ صَاحِبَتِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ.

وَبَعْدَ هُنَيهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ كَانَ الجُنْدُ يَسْلُكُونَ ضِفَّتَي النَّهْرِ قَاصِدِينَ مَنَابِعَ المَاءِ لِلْوصُولِ إِلَى صَاحِبَةِ الشَّعْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ،، وَجَدُوا فِي طَرِيقِهِم نِسَاءً كَثِيرَات يَغْسِلْنَ ثِيَّابَهُنَ وَيَنْشُرْنَهَا عَلَى الشُّجَيْرَاتِ القَرِيبَةِ مِنَ النَّهْرِ، كَمَا شَاهَدُوا فَتَيَاتٍ يَسْتَحمِمْنَ بِمَاءِ النَّهْرِ وَقَدْ أَفْزَعَهُنَ قُدُومُ الجُنْدِ بَغْتَةً مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِينَ، وبَعْدَ أُسْبُوعٍ مِنَ البَحْثِ الدَّقِيقِ وَالاسْتِطْلاَعِ الوَاسِعِ، وَمُقَارَنَةِ الشَعرَةِ الذَّهَبِيةِ بِشَعرِ كُلِّ امْرَأَةٍ عَادَ الجندُ خَائِبِينَ، فَاغْتَمَّ السُّلطَانُ لَمَّا عَلِمَ بِالأَمْرِ، ولِعَجْزِ سُلطَانِهِ فِي الوُصُولِ إِلَى شَيءٍ بَسِيطٍ فِي مَمْلَكَتِهِ وَهُوَ الآمِرُ النَّاهِي...

وَمَرَّت الأَيَّامُ فَانْشَغَلَ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ لَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ إِخْفَاءَ الشَّعْرَةِ فِي صُنْدُوقِهِ الخَاصِ مَعَ لَوَازِمِهِ السِّرِيَّةِ..

❋ ❋ ❋

هَاهِي الفَتَاةُ «مرجَانَة» تَمْشِي وَأَخُوهَا الطِّفْلُ الغَزَالُ «ظَرِيف» يَتْبَعُهَا فِي مَشْهَدٍ غَرِيب،، وَفِي غَمْرَةِ حيْرَتِهَا الكُبْرَى شَاهَدَت كُوخًا قَدِيمًا يَتَوسَّطُ الأَشْجَارَ فَأَسْرَعَت بِهَا قَدَمَاهَا نَحْوَهُ، إِنَّهُ لِعَجُوزٍ طَيِّبَةٍ

تَعِيشُ مِنَ الأَعْشَابِ وَالعَقَاقِيرِ التِي تَبِيعُهَا لِلدَّلاَّلِ عِنْدَمَا يَأتِي كُلّ صَبَاح مُنَادِيًا:

- غِذَاؤُكَ دَوَاؤُكَ، هَاتِ مَاعِنْدَكَ أُعْطِيكَ مَاعِنْدِي ،، البَيْعُ لاَ، وَالمُبَادَلاَتُ نَعَمْ.

رَحَّبَت بِالطِّفْلَةِ التِي جَاءَت تُرِيدُ الطَّعَامَ وَالمَاءَ لَهَا وَلأَخِيهَا، ثُمَّ سَأَلَتهَا وَهِي تُقَدّمُ لَهَا الخُبْزَ وَالمَاءَ:

- أَيْنَ أَخُوكِ؟

وَلَمّا أَكَلَتْ «مَرْجَانَة» وَأَخُوهَا الغَزَالَ حَتَّى شَبِعَت قَصَّت عَلَى العَجُوزِ الحِكَايَةَ مِنَ البِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَة، وَلَمَا سَمِعَت العَجُوز قِصّتَهُمَا قَالَتْ لَهُمَا:

- أَنَا أُمُّكُمَا الآن... ثُمَّ نَظَرَت إِلَى السَّمَاءِ قَائِلَةً:

- شُكْرًا لَكِ أَيَّتُهَا العِنَايَةُ الإِلهِيَّة لَقَدْ حَقَّقْتِ حُلُمِي،، حُلُمِي الدَّفِينَ مُنْذُ سِنِينَ.

عَمَّ الخَيْرُ البَلَدَةَ بِحُلُولِ «مَرجَانَة وَظَرِيف» بَيْتِ العَجُوزِ، إِذْ نَزَلَ الغَيْثُ وَتَفَجَّرَتِ اليَنَابِيعُ المَائِيَّة وَاخْضَرّتِ الأَرْضُ، وَغَمَرَت خَيْمَتَهَا الأَرْزَاقُ.

وَيَأْتِي الدَّلاَّلُ يَأخُذُ طَبَقَ الأَعْشَابِ فَيَجِدُ بِدَاخِلِهِ ذَهَبًا، اِسْتَمَرَّ الحَالُ شُهُورًا وَالدَّلاَّلُ فَرِحٌ وَمُتَعَجِّبٌ، لَكِنَّ الاسْتِغْرَابَ كَانَ يَشْغَلُ بَالَهُ، فَقَرَّرَ بَعْدَ سِنِين اطلاَعَ السُّلْطَانِ عَلَى هَذَا السِّرِّ العَجِيبِ.. الأَعْشَابُ تَصِيرُ ذَهَبًا وَالصَّيْفُ يُصْبِحُ رَبِيعًا!!

❋ ❋ ❋

زَوْجَةُ الأَبِ وَابْنَتُهَا «عَسْلوجَة» تُقَرِّرَانِ الرَّحِيلَ وَالشَّيخُ يُمَانِعُ طَمَعًا فِي عَودَةِ طِفلَيْهِ إِلَيهِ، وَسَافَرَ الثَّلاَثَةُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ تَارِكِينَ البَيْتَ أَطْلاَلاً، تَتَلاَعَبُ الرِّيَاحُ بِسَقْفِهِ النَّبَاتِيِّ.

أَصْبَحَ الدَّلاَّلُ مِنَ الأَغْنِيَاءِ لَكِنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ عَنِ حِرفَتِهِ، فِي يومٍ مِنَ الأَيَّامِ قَرَّرَ الذَّهَابَ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ وَطَلَبَ مِن الحُرَّاسِ السَّمَاحَ لَهُ بِمُقَابَلَةِ السُّلطَانِ، وبَعْدَ مُحَاوَلاَتٍ كَانَ لَهُ مَا أَرَادَ.

- العَظَمَةُ وَالجَلالَةُ لِمَولاَنَا السُّلطَان.

يُشِيرُ عَلَيْهِ السُّلطَان بِيَدِهِ اليُمنَى قَائِلاً:

- هَاتِ مَاعِنْدَكَ أَيُّهَا الرَجُلُ، إِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَأَنَا مُنْصِفُك وَإِنْ كُنْتَ مَسْلُوبَ الحَقِّ أَنَا رَادُّهُ لَك.. انْشُر مَا فِي صَدْرِكَ...

الدَّلاَّل مُبْتَسِـمًا:

- عَفْـوَكَ يَـا مَـولاَي، لاَ هَـذَا وَلاَ ذَاك، إنَّ سَـبَبَ حُضُـورِي ظَاهِـرَةٌ أَذْهَلَتْنِـي وَأَطْلُـبُ مِـن مَـوْلاَي السُّـلطَان السَّـمَاحَ بِـسَرِدِ قِصَّـةِ العُشـبِ الذَّهَبِـيِّ.

شَـجِّعهُ السُـلطَانُ بِإيحَـاءٍ مِـنْ مَلاَمِحِـهِ، فَأَطْلَـقَ الـدَّلاَّلُ العِـنَانَ لِلِسَـانِهِ يَصُـولُ وَيَجُـولُ وَاصِفًـا الـمَكَانَ وَالزَّمَـانَ بِأَوْصَـافٍ شَـتَّى أَثَـارَت فُضُـولَ السُّـلـطَانِ فَأَمَـرَ أَحَـدَ حُجَّابِـهِ بِإحْضَـارِ العَجُـوزِ وَمـن مَعَهَـا قَبْـلَ غُـرُوبِ شَـمْسِ ذَلِـكَ اليـومِ.

غَابَـت الشَّـمْسُ فِي الأُفُـقِ وَفِي القَـصْرِ أَشْرَقَـتْ شَمْـسٌ أُخْـرَى، إنَّهَـا الفَتَـاةُ مَرجَانَـة وَأَخُوهَـا الغَـزَال رُفْقَـةَ العَجُـوزِ، أَدْخَلَهُـم حَاجِـبُ القَـصْرِ فَبُهِـتَ السُّـلطَان لِجَمَالِهَـا، كَانَ سِـحرُهَا يَـسْرِي فِي النُّفُـوسِ كَالـمَوجِ فِي امتِـدَادِهِ، جَـاءَ السُّـلطَان فِي الحِـينِ بِالشَّـعْرَةِ الذَّهَبِيَـةِ وَقَارَنَهَـا بِشَـعْرِ الفَتَـاةِ فَـإذَا بِهَـا تُشْـبِهُهُ..

- يَـا لَهَـا مِن صُدْفَةٍ عَجِيبَةٍ !!

قَالَهَـا السُّـلطَانُ وَهُـوَ يُرَحِّـبُ بِهِـم ويُكْـرِمُ حُضُورَهُـم، ثُـمَّ طَلَـبَ مِنْهُـم الإقَامَـةَ فِي جَنَـاحِ الضِّيافَـةِ ثَلاثَـةَ شُـهُورٍ لِعِـلاَجِ الغَـزَالِ بعْـدَ أنْ عَـرفَ قِصَّتـهُ.

أَصْـدَرَ إلى عُمَّالِـهِ فِي الأَقَالِيـمِ نِّـدَاءً عَاجِـلاً لِدَعْـوَةِ أَكْفَـأ الأَطِبَـاء وَالعُلَـمَاءِ إلى قَـصْرِهِ، وَجَـاءَ يَـومُ الصَّبَـاحِ الثَّـانِي وَبَـدَأَت مَعَـهُ وُفُـودُ الأَطِبَّـاء وَالعُلَـمَاءِ تَصِـلُ القـصر زَرَافَـاتٍ وَوِحْدَانًـا.

طَلَـبَ السُّـلطَانُ مِـن الجَمِيـعِ البَحْـثَ عَـن عِـلاَجٍ لِلطِّفـلِ الغَـزَالِ كَي يَعُـودَ لِصِفَتِـهِ البَشَرِيَّـة، لَـمْ يُخْـفِ الحَـاضِرُونَ اندِهَاشَـهُم.. تَنَاظَـرُوا فِيـمَا بَيْنَهُـم وَشَرَعُـوا فِي التَّفكِيـرِ وَالبَحْـثِ وَإجْـرَاءِ التَّجَـارِبِ...

فِي أَيَّـامِ العِـلاَجِ وَالضِّيافَـةِ عَـرَضَ السُّـلطَانُ عَـلَى مرجَانَـةَ الـزَّوَاجَ.. فَوَافَقَـت لَكِنَّـهَا اشْـتَرَطَت عَلَيـهِ الوَعْـدَ بِعِـلاَجِ أَخِيهَـا حَتَّـى الشِّـفَاءِ التَّـامِ، فَقَبِـلَ السُّلطَـانُ ذَلـكِ وَأَقَامَـا عُرسًـا بَهِيجًـا..

وَفِي يَـومٍ كَانَ السُّـلطَانُ غَائِبًـا عَـنْ قَـصْرِهِ جَـاءَ فَقِيـرٌ فِي ثِيَـابٍ بَالِيَـةٍ يَطلُـبُ صَدَقَـةً، كَانَ الوَقْـتُ أَصِيـلاً، إنَّـهُ الزَّمَـنُ الـذِي تَخْـرُجُ السُّـلطَانَةُ إلَى شُرفَتِهَـا تَتَأَمَّـلُ الكَـوْنَ وَتُـوَدِّعُ الشَّـمْسَ وَهِـي تَلبَـسُ عَبَاءتَهَـا ذَاتَ اللَّـونِ الـوَردِي، وَقَـعَ بَصَـرُهَا عَـلَى رَجُـلٍ مُتَسَـوِّلٍ يَرْفَـعُ يَـدَهُ نَحْوَهَـا، فَاقشَـعَرَّ جِسْـمُهَا وَأَحَسَّـت بِشُـعُورٍ غَرِيـبٍ يَغْمُـرُهَا.

طَلَبَـت مِـنَ الحُـرَّاسِ إِدْخَالَـهُ السَّـاحَةَ... فَنَزَلَـت مِـن الطَّابَـقِ العُلـوِيِّ مُسْرِعَـةً وَاقْتَرَبَـت مِنْـهُ فَتَعَرَّفَـت عَلَيْـهِ.. إنَّـهُ أَبُوهَـا العَجُـوز، عَانَقَتْـهُ فَاحتَضَنَهَـا وَبَكَيَـا، أَطْعَمَتْـهُ حَتَّـى شَـبِعَ وَسَـقَتْهُ حَتَـى ارتَـوَى وَأَلبَسَـتْهُ أَزْهَـى الثِّيَّـابِ فَشَـعَرَ بِالرَّاحَـةِ وَالطُّمَأنِينَـةِ، ثـمَّ حَدَّثَتْـهُ كَثِيـرًا عَـنْ رِحْلَـةِ الـمَتَاعِبِ والعَـذَابِ وَمَـا حَـدَثَ لأَخِيهَـا ظَرِيـف فَانْدَهَـشَ الوَالِـدُ لِذَلِـكَ.

وَعِنْدَمَـا أَرَادَ مُغَـادَرَةَ القَـصْرِ وَضَعَـت مرجَانَـة فِي يَـدِهِ كِيـسَ فَطَائِـرٍ، ثُـمَّ التَمَسَـت مِنْـهُ عَـدَمَ فَتْـحِ الكِيـسِ قَبْـلَ الوُصُـولِ إِلَى البَيْـتِ مَـعَ حِفْـظِ سِرِّ وُجُودِهَـا عَـن زَوْجَتِـهِ وَابْنَتِـهِ.

وَعَادَ الشَّـيخُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَابْنَتِهِ فَرِحًا مَسْرُورًا وَحَائِرًا فِي أَمْرِ ابْنِهِ الغَزَال «ظَرِيف»..

فَتَحَـتِ الزَّوجَـةُ وَابْنَتُهَـا عسـلُوجَة الكِيـسَ فَـإذَا بِالذَّهَـبِ يَتَدَفَّـقُ مِـن بَـيْنِ الفَطَائِـر، قِطَـعٌ تَتَسَـاقَطُ فَتُحْـدِثُ رَنِيـنًا وَتَلْمَـعُ فَيَتَحَـوَّلُ البَرِيـقُ إِلَى تَوَهُّـجٍ يُثِيرُ النُّفُـوسَ الطَّامِعَـةَ.

طَلَبَـتْ الـمَرْأَةُ مِـنْ زَوْجِهَـا الذَّهَـابَ إِلَى السُّـلطَانَةِ لِشُـكرهَا رَغْبَـةً مِنهَـا فِي الـمَزِيدِ مِـنَ الذَّهَـبِ، وَلَـمْ يُـمَانِعِ الشَّـيخُ، لأَنَّـهُ تَعَـوَّدَ الطَّاعَـةَ وَالإنصِيَـاعَ، وَعَلِـمَ أَنَّ مُقَاوَمَتَـهُ لَهَـا سَـتَبُوءُ بِالفَشَـلِ...

وَفِي اليَـومِ الـمُوَالِي ذَهَبَـا رُفْقَـةَ ابْنَتِهِـمَا «عَسْـلوجَة» وَكَـمْ كَانَـت الـمُفَاجَأَةُ كَبِـيرَةً عِنْدَمَـا تَعَرَّفَتَـا عَـلَى السُّـلطَانَةِ التِـي أَكْرَمَـت حُضُورَهُـم جَمِيعًـا، وَعَرفَـا قِصَّـة ظَرِيـف، فنَدِمَـا عَـلَى أَفْعَالِهِـمَا السَـابِقَةِ وَطَلَبَـا مِنهَـا العَفْـوَ، وَكَانَ لَهُـمَا ذَلِـكَ.

وَبَعْـدَ ضِيَافَـةِ ثلاَثَـةِ أَيَّـامٍ قَـرَّرَ الشَّـيخُ العَجُـوزُ أَخْـذَ زَوجَتِـهِ وَابْنَتِـهِ «عَسْلوجَـة» وَمُغَـادَرَةَ القَـصْرِ خشْـيَةَ وُقُـوعِ ابْنَتِـهِ السُّـلطَانَة ضَحِيَّـةَ مَكـرٍ جَدِيـدٍ تُدَبِّـرُهُ لَـهَا زَوْجَتُـهُ.. وَكَانَ لَـهُ مَـا أَرَادَ... وصَـارَ الوَالِـدُ يَـزُورُ القَـصرَ مـن حِـينٍ لآخَـرَ لِرُؤيَـةِ وَلَدَيْـهِ.

وَبَعْـدَ أَيَّـامٍ عَـادَ السُّـلطَانُ مِـن رِحلَتِـهِ يَحْمِـلُ عقَـاقِيرَ لِعلاجِ الشَّـابِّ الغَـزَالِ، قَـدَّمَهَا لِلعُلَـمَاءِ والبَاحِثِيـنَ الذِيـنَ أَضَافُـوهَا لِتَجـارِبِهِم وبُحُـوثِهِم قَصـدَ إبطَـالِ مَفْعُـولِ الـمَاءِ الـمَسْحُور، وَبَعْـدَ فَتْـرَةٍ أَعْلَـنَ العُلَـمَاءُ وَالأَطِبـاءُ وَالحُكَـمَاءُ عَـن اكتِشَـافِ دَوَاءٍ جَدِيـدٍ يُعِيـدُ لِلشَّـابِّ «ظَرِيـف» الغَـزَال هَيْأَتَـهُ البَشَرِيَّـةَ الأُولَى التِـي كَـانَ عَلَيهَـا قَبْـلَ أَن يَـشْرَبَ مِـن وَادِي السِّـحرِ، فَأَطْـرَبَ هَـذَا الخَـبَرَ العَائِلَـةَ الحَاكِمَـةَ وَكُـلَّ مَـنْ كَانَ فِـي البِـلاَدِ، وَقُـدِّمَ العِـلاَجُ إِلَى الغَـزَال ظَرِيف، كَانُوا جَمِيعًـا بالـمَخْبَـرِ الـمَلَكِـي فِـي صَمْتٍ رَهِيـبٍ، وَمَاهِـي

إلاَّ دَقَائِقٌ حَتَّى عَادَ الشَّابُّ إِلَى حَالَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، بَهِيَّ الطَّلعَةِ وَسِيمَ الوَجْهِ،، فعَمَّتِ الفَرحَةُ فِي القَصرِ وَتَعَانَقَ الجَمِيعُ.

وَهَكَذَا عَاشَ الجَمِيعُ رَدَحًا طَوِيلاً مِنَ الدَّهرِ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، إِلَى أَنْ حَضَرَ (هَادِمُ اللذَّات وَمُبَيِّتُمُ البَنِينِ وَالبَنَاتِ، مُخَرِّبُ القُصُورِ وَمُعَمِّرُ القُبُورِ فَمَاتَ مَنْ مَات وَعَاشَ مَنْ عَاش وَسُبْحَانَ الحَيِّ الذِي لاَيَمُوت...)